دمعة وفاء

شعر: محمد ضياء الدين الصابوني
سورية

الله أكبر ضج الشرق والأدبُ ... وقد بكته أساها العُجْمُ والعربُ
بكت به عالماً لله فكرته ... كما بكته عيون الشعر والخطبُ
عرفته فعرفت الفضلَ شيمتُهُ ... إلى المكارم والأمجاد تنتسبُ
ربُّ البيان، إمامُ الفكر، ما قعدت ... هممُ اته أو ونَتْ بل مله التعبُ
هذا الذي علَّم الأجيالَ ثقَّفها ... يفنى الزمانُ ولا يفنى به العجبُ
قد لفني الحزنُ حتى فتَّ في عضدي ... وذي دموعُ فؤادي اليومَ تنسكبُ
واحسرتاه فقدنا اليوم عالمنا ... العالمَ الفذَّ ابن (الشام) لا عجبُ
بكتْ عليك نفوسٌ لا عدادَ لها ... كما بكتْ حرقةً من وجدها الكتبُ
تبكي (دمشقُ) وما تنفكُّ والهةً ... غدت تجاوبُها في حزنها (حلبُ)
وهذه (مصرُ) بل (بغدادُ) بل (قطرٌ) ... وهذه (مكةُ الغرّاءُ) تنتحبُ
(رياضُ) تندبه و(الهندُ) والهةٌ ... والقدسُ ينزفُ من أعماقها اللهبُ
يبكيه كل فؤاد مخلصٍ فطنٍ ... تبكي عليه أساها السادةُ النجبُ
آتاك ربك يا (أستاذُ) موهبةً ... إن المواهب نبعٌ ما به نضبُ
إذا تحدث فالآذانُ مصغيةٌ ... ترى الدواخلَ من أقواله تجبُ؟؟
كم عالمٍ عاملٍ تزهو البلادُ به ... ومدع خائبٍ كأنه الخشبُ
قد زرته وفؤادي كلُّه لَهَفٌ ... وعُدته وفؤادي كله لهبُ
ما كان أجملَ أياماً بحضرته ... طويتُها، ولقدْ مالتْ بنا الشهبُ!
دعني لأنشدَ في ذكراه مرثيةً ... تكاد من شدة الأحزان تنتحبُ
فأين من كان يرعانا بمجلسه ... يحنو علينا كما يحنو الأبُ الحدبُ؟
كم استمعْنا إليه في (محاضرة) ... وكم سعدْنا وزال الهم والنصبُ!
إن الحياة لأشجانٌ مروعةٌ ... هذي حياة (عليّ) كلها تعبُ
يا أمةً غاب عنها اليوم (كوكبُها) ... فأصبحتْ كشريدٍ قد جفاه أبُ
اللهُ يشهدُ أن الحزنَ زلزلنا ... وقد تقوضتِ الأركانُ والطنبُ
اليومَ أبكيكَ من قلبي ومن كبدي ... إني على إثره يا قومُ فارتقبوا